

ملاح إصلاح المناهج التربوية في الجزائر في ظل المقاربة بالكفاءات

أ / صباح سليمان

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

جامعة بسكرة

Résumé:

Les curriculums d'enseignement en Algérie a Connu, de nombreuses réformes au cours des périodes successives, et a été le dernier de ce qui fut le début du troisième millénaire, et ont été formulés en fonction des compétences approches comme une méthodologie d'enseignement et d'évaluation modernes pour suivre le rythme avec les exigences de l'évolution mondiale, notamment dans les domaines de la connaissance et la technologie, qui sont devenus évolue rapidement. Dans cet article nous allons essayer de détecter les caractéristiques les plus importantes de ces réformes qui ont eu lieu en Algérie sous l'approche par les compétences.

الملخص:

عرفت المناهج التربوية في الجزائر إصلاحات عديدة على مدى الفترات الزمنية المتعاقبة، وكان آخرها تلك التي تمت مع بداية الألفية الثالثة، وتمت صياغتها وفق المقاربة بالكفاءات كمنهجية تعليمية وتقييمية حديثة تتواءم مع متطلبات التطورات العالمية، خاصة في المجالين المعرفي والتكنولوجي، والذين أصبحا يتطوران بشكل متسارع. وفي هذا المقال سنحاول الكشف عن أهم ملامح الإصلاحات التي تمت في الجزائر في ظل المقاربة بالكفاءات.

مقدمة:

يعتبر المنهج التربوي بمفهومه الحديث بمثابة مخطط تربوي يتضمن عناصر عديدة أهمها الأهداف والمحتوى والأنشطة التعليمية والتقويم، وبفعل التطورات الكبيرة والمتسارعة خاصة التكنولوجية والمعرفية التي يشهدها العالم والتحديات الكبرى التي تفرضها على المجتمعات، تزداد الحاجة إلى مراجعة المناهج التربوية وتجديدها حسب الضرورة، ولذلك سعت مختلف تلك المجتمعات لملاحقة التقدم العلمي والتكنولوجي الكبير من خلال مراجعة مضامين مناهجها التربوية وإصلاحها وإعادة صياغتها بشكل يتلاءم مع تلك المستجدات، وينجح في صناعة المواطن العالمي. وهو ما تجسده المقاربة بالكفاءات كمنهجية تعليمية حديثة.

والجزائر كغيرها من دول العالم عاشت وتعيش في ظل هذه الإفرازات والتحديات العالمية، وهي تحاول أن لا تبقى منعزلة ومنغلقة على نفسها، حيث اعتمدت في السنوات الأخيرة جملة من الإصلاحات في مختلف الجوانب الحياتية بما فيها الجانب التربوي، الذي عرف إصلاحات عديدة لمناهجه خلال فترات زمنية متعاقبة من تاريخه، وصولاً إلى الإصلاحات الأخيرة التي تم تطبيقها مع بداية العام الدراسي 2003-2004. وهي التي أصطلح على تسميتها بإصلاحات "ابن زاغو"، والتي اتخذت المقاربة بالكفاءات منهجية تعليمية لها. فما هي أهم ملامح إصلاح المناهج التربوية في الجزائر في ظل المقاربة بالكفاءات؟

أولاً- تحديد مفاهيم الدراسة:

1-1- مفهوم إصلاح المناهج التربوية:

إن مفهوم الإصلاح (réforme) يرتبط بمفاهيم متعددة منها: التجديد، التغيير، التطوير أو التحديث ويشير مفهوم الإصلاح التربوي إلى أنه عملية التغيير في النظام التعليمي أو في جزء منه نحو الأحسن، وغالبا ما يتضمن هذا المفهوم معاني اجتماعية واقتصادية وسياسية⁽¹⁾

وفي الإطار ذاته، يشير "مصطفى محسن" في كتابه: الخطاب الإصلاحي التربوي" إلى أن التحديد العلمي الدقيق للإصلاح التربوي (réforme éducative) عموماً، يطرح العديد من الصعوبات والملاحظات منها: أن هذا المفهوم يتداخل ويتقاطع، في دلالاته

الواسعة مع مجموعة متعددة من المفاهيم المجاورة، والتي غالبا ما توظف في الخطابات التربوية السائدة عندنا دون أجراء علمية وعملية ضابطة، وذلك مثل مفاهيم: التجديد التربوي (innovation éducative)، والتطوير والإينماء التربوي (développement éducatif)، والتغيير أو التغيير التربوي: (changement éducatif)، ومفاهيم أخرى مثل: الثورة: (révolution)، والتحول: (mutation)،..إلى غير ذلك من المفاهيم التي يمكن أن تستحضر في هذا المجال. (2)

وعليه فقد تنامي اليوم استخدام مفهوم الإصلاح في المناهج التربوية والذي يشير إلى منظومة من الإجراءات التربوية التي تهدف إلى إخراج النظام التربوي من أزمته إلى حالة جديدة من التوازن والتكامل الذي يضمن له استمرارية وتوازنا في أداء وظيفته بصورة منتظمة. وقد يتجه الإصلاح إلى إجراء تغييرات نوعية في جميع جوانب النظام التربوي المراد إصلاحه، كما يمكن للإصلاح أن يتم في جانب من جوانب النظام التربوي. ويمكن القول في هذا السياق أن مفهوم الإصلاح وإجراءاته مرهونة بمستوى ودرجة الأزمة التي يعاني منها النظام التربوي أو التعليمي. (3) أما عربيا فقد تزايد الاهتمام بعملية إصلاح المناهج التربوية مع اقتراب الألفية الثالثة، حيث انطلقت صرخات متتالية، وعقدت ندوات ومؤتمرات متتابعة هنا وهناك تبحث في مسألة تطوير التربية وتحديثها وتجويدها في ضوء معطيات الألفية الثالثة وخصوصياتها. (4)

وغالبا ما تتم حركات الإصلاح التربوي كردة فعل حضارية لمواجهة الأزمات والإشكاليات الكبرى التي واجهتها بعض المجتمعات الإنسانية في حقب محددة، إذ نظرت هذه المجتمعات إلى التربية كمدخل طبيعي لإصلاح وتطوير ذاتها من خلال ترقية الإنسان فكرا وقيما واتجاهات. بينما يرى "حمدي علي أحمد"، أن أهمية الإصلاح تكمن في كونه محاولة فكرية عملية لإدخال تحسينات على الوضع الراهن في النظام التعليمي أو طرائق لتدريس (5)

وبذلك يمكن القول بأن الإصلاح المطلوب أو الاستراتيجي هو حركة وتحريك للواقع وفق مطالب اللعبة الجديدة للمتغيرات الداخلية والخارجية تضمن للمجتمع ومؤسساته التجديد، البقاء والنماء. إن تعبير الإصلاح أو التغيير من خلال اختيار مواقع ومؤسسات لها أولوية إستراتيجية في إحداث التغيير هو المنهج التخطيطي الرشيد. (6)

1-2- مفهوم المقاربة بالكفاءات

يعرف المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة مفهوم الكفاءة في أن "كفاه الشيء يكفي كفاية: استغنى به عن غيره، فهو كاف، كفي". ولفظ الكفاءة ذا أصل لاتيني *competentia* وتعني العلاقة، تقابلها في الفرنسية *compétence*، وقد ظهرت في سنة 1468 في اللغات الأوروبية بمعاني مختلفة.

وإصطلاحاً يمكن تعريفها بأنها: "مجموعة منظمة ووظيفية من الموارد (معارف- قدرات- مهارات...)، والتي تسمح أمام جملة من الوضعيات بحل مشاكل، وتنفيذ نشاطات وإنجاز أعمال...". (7)

والمقاربة هي تصور وبناء مشروع عمل قابل للإنجاز في ضوء خطة أو إستراتيجية تأخذ في الحسبان كل العوامل المتداخلة في تحقيق الأداء الفعال، والمردود المناسب من طريقة، وسائل، ومكان وزمان، وخصائص المتعلم، والوسيط، والنظريات البيداغوجية. (8)

أما المقاربة بالكفاءات هي محاولة لتحديث المنهاج وتفعيله، حيث تربط المعارف مباشرة بالممارسات الاجتماعية و بوضعيات معقدة و مشكلات و مشاريع ، لأنها تأخذ بعين الاعتبار القدرة على تحويل المعارف فضلاً على تحصيلها ، كما أنها تساعد التلاميذ الأكثر عوزاً في الوقت الراهن على التعلم والنجاح. (9)

ثانياً- إستراتيجية التدريس بالكفاءات:

إن إستراتيجية التعليم والتعلم وفق المقاربة بالكفاءات المتبنية في المناهج التربوية الجديدة، تعكس التطور المميز للنشاط التربوي بشكل عام، وللعملية التعليمية الملائمة، وكذا في نوع النقيوم وأدواته وتبرز معالم التجديد في إستراتيجية التدريس بالكفاءات بشكل أكثر دقة وتحديد في التحولات البيداغوجية التالية:

1- التركيز أكثر على نشاط المتعلم لتحقيق النقلة النوعية من منطلق التعليم إلى منطلق التعلم.

2- الأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية بين المتعلمين، ووتيرة كل متعلم في النشاط التعليمي، والتفاعل مع الوضعيات الإشكالية الموظفة للتعلم.

3- إدماج المعارف والقدرات وفق سيرورة بناء الكفاءات أو تميمتها.

- 4- القضاء على الحواجز بين مختلف الأنشطة والمواد التعليمية قصد بناء أو تطوير الكفاءات المستعرضة.
- 5- استقلالية المعلم في اختيار الوضعيات والأنشطة التعليمية التي تهدف إلى تحقيق الكفاءات المرجوة في حدود التوجيهات التربوية (تنظيم وتسيير التعلم).
- 6- استخدام وتوظيف الطرائق والوسائل التي تتسجم مع المعطيات التعليمية الجديدة.
- 7- إيلاء الاهتمام للتقويم التكويني، بالتركيز على أداء المتعلم في سيرورة تعليمية طويلة المدى، وفق مقتضيات بناء كفاءة من الكفاءات على اختلاف مستوياتها ومؤشراتها.⁽¹⁰⁾
- هذا وتتميز المقاربة الكفاءات بما يلي:⁽¹¹⁾

تجعل المتعلم في قلب الفعل التربوي ومحوره، وتعمل على إشراكه في مسؤولية قيادة وتنفيذ عملية التعلم، وهي تقوم على اختبار وضعيات تعليمية، مستقاة من الحياة في صيغة مشكلات ترمي عملية التعلم إلى حلها باستعمال الأدوات الفكرية، وبتسخير المهارات والمعارف الضرورية لذلك.

➤ تجعل من حل المشكلات أو الوضعيات المشكلة الأسلوب المعتمد للتعلم الفعال، إذ أنه يتيح الفرصة للمتعلم في بناء معارفه بالمفهوم الواسع بإدماج المعطيات والحلول الجديدة في مكتسباته السابقة.

➤ تعمل المناهج على تشجيع اندماج المفاهيم والأدوات المعرفية الجديدة بدل اعتماد الأسلوب التراكمي للمعارف.

➤ تحدد المقاربة بالكفاءات أدوارا متكاملة جديدة لكل من المعلم والمتعلم.

ولتحقق المقاربة بالكفاءات قيم الديمقراطية يجب أن تتوفر على عدة شروط هي:

1- أن تربط المعرفة بأوضاع وممارسات اجتماعية، فإنها بذلك تزيد معناها سعة وعمقا في نظر المتكويين الأقل ميلا إلى استيعاب المعارف ذاتها، لكنها في الوقت نفسه تشترط علاقة بالمعرفة أكثر خصوصية وتحرم جزء من ضعاف المستوى من انجاز التمارين المدرسية المألوفة ومن السهولة النسبية المنسوبة إلى مهنة التلميذ، تلك التي تمكن المتكويين من تدبر أمره.

2- بروز أهداف جديدة تتمثل في الكفاءات، بمعنى إذا أردنا بناء الكفاءات فإننا سنستحدث شروطا جديدة للتفوق الدراسي، وأشكالا ومعايير حديثة قد ينجز عنها شكل جديد لعدم المساواة. (12) إذن تتمثل الكفاءة الأولى المستهدفة في " مساءلة الواقع " انطلاقا من المكاسب المحصلة تدريجيا و باحترام بعض الطرائق ولتطوير مثل هذه الكفاءة يجب توفر ما يلي:

- تخفيف البرامج لتوفيت الوقت اللازم لبناء بعض المعارف وفق خطوات تنتسب إلى البحث.

- قلب طريقة التدريس رأسا على عقب، والعمل بطريقة الأغاز والمناقشة وطريقة الإشكاليات ومشاريع البحث الصغيرة والملاحظة والتجريب.

و يتم تجسيد مساءلة الواقع عن طريق تحويل المعارف؛ إذ يتم بناؤها انطلاقا من إشكاليات عوض استعراض نص المعرفة وسردها وجعل التلاميذ يواجهون مواقف مستحدثة، غير معروفة، وتقييم قدراتهم بناء على التفكير المستقل والمحاضرة. (13)

وهو ما دعا إليه "باولو فيريري والذي تحدث في الفصل الثاني من كتابه حول "نظرات في تربية المقهورين" عن التعليم الحواري كبديل عن التعليم البنكي، حيث يرى بأنه في الوقت الذي يعزز فيه الأسلوب " البنكي"، بشكل مباشر أو غير مباشر، إدراك الناس القدري لوضعهم، يقوم الأسلوب الذي يطرح المشاكل بتقديم هذا الوضع لهم على شكل قضية. ومع تحول الوضع إلى هدف لمعرفة، يتراجع الإدراك الساذج أو السحري الذي ولد قدرتهم أمام إدراك قادر على إدراك نفسه حتى مع إدراكه للواقع، ومن ثم يستطيع أن يكون موضوعيا بشكل انتقادي حول الواقع. (14)

إن المقاربة بالكفاءات تربط المعارف النظرية بالممارسات الاجتماعية وتحاول كذلك أن تعود المتعلم عن البحث والفكر النقدي والاستقصاء من أجل الوصول إلى الحقيقة عن طريق انتهاج العمليات العقلية المنطقية، أي الفكر العلمي المنظم المبني على أسس فلسفية وهذا يؤدي إلى ربط المتعلم بواقعه الاجتماعي محاولا تغييره أو تجديده، من أجل فهمه والاستفادة منه وبذلك تكون للمعرفة وظيفية في الحياة اليومية على مستوى الأفراد بالإضافة إلى وظيفتها على مستوى الحياة العملية.

إن التعود على نموذج التفكير المنظم المبني على النقد وليس القبول والخضوع، والذي كرسه الطريقة التقنيية يخلق لدى المتعلم فكرا انتقائيا، يحاول البحث في أدق

الأمر وبالتالي التمييز بين الغث والسمين عن طريق تنمية الشك المنهجي، وهذا ما يؤدي إلى خلق خصوصيته والتي تدعم مكانتها بين الدول المتقدمة من خلال استفادتها منها من دفق الاندماج في نظامها كلية بل يكون فكره انتقائي يستجيب لإيجابياتها و يلغي سلبياتها.

ثالثا- دواعي إصلاح المناهج وفق المقاربة بالكفاءات:

ترتبط الأزمة التعليمية في المقام الأول بحقيقة أن دور المشكلات العالمية يفرض مهام على التعليم لا يمكنه أن يجد لها حلا في ظل هيكله واتجاهه الحالي. وبطبيعة الحال فإن مشكلات التعليم لها علاقة بسلسلة كاملة من المسائل ذات الصلة الاجتماعية الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية التي تعمل على تفاقم الأزمة. إن ثمة شاهدا واضحا على علاقة ملموسة بين أزمة التعليم والتغيرات الهيكلية في المعرفة العلمية الحديثة، فمن ناحية هناك اتجاه متزايدا إلى التباين في العلم، بحيث أصبح الهيكل الحديث للتعليم في ما يسمى بالبلدان النامية عاجزا عن استيعاب الانجازات العلمية والمفاهيم التركيبية بحيث نجد التعليم متخلفا عن العلم، بل ويفتقر حتى الآن إلى المحركات الفاعلة التي تعمل على تكامله مع المعرفة. فمضمون التعليم لا يتلاءم مع منزلة لمعرفة. وفي الجزائر عمل الإصلاح في المناهج التربوية على مواكبة التحديات التكنولوجية والمعرفية التي تواجهه، وتجسد ذلك في العناصر التالية:

- ضمان ثقافة علمية وتكنولوجية لكل مواطن للتمكن من الاندماج في العالم الجديد للعلم والتكنولوجيا.
- ضمان التفتح على العالم والإطلاع على مشاكله والمساهمة في حلها.
- ضمان تنمية الفكر الناقد الذي يسمح باختيار الاستعمالات الايجابية للعلوم.
- ضمان التواصل مع الحضارات والثقافات المختلفة عن طريق تعلم اللغات خصوصا. (15)

رابعا- أهم ملاح الإصلاح في المناهج التربوية في الجزائر:

ورثت الجزائر بعد استرجاع السيادة الوطنية هياكل وتنظيمات تعليمية تخدم المحتل أكثر مما تخدم الوطن الأم، هذا ما جعل الجزائر تلجأ إلى سلسلة من الإصلاحات، وأهمها أمرية 16 افريل 1976، التي جاءت من أجل تنظيم وتسيير المنظومة التربوية، حيث

وضعت إستراتيجية تربوية ركزت على تكريس الطابع الوطني في المناهج التربوية وتوحيد التعليم وديمقراطيته وإلزاميته ومجانيته لمدة تسع سنوات، بالإضافة إلى التوجه العلمي والتكنولوجي، وأخر هذه الإصلاحات تلك التي بدئ في طرحها من طرف اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية في شهر ماي سنة 2000. والتي تتألف من 157 عضوا تم اختيارهم من بين الشخصيات الوطنية البارزة وبالنظر إلى كفاءتهم المشهودة في عالم التربية والتكوين. ولقد تم تكليف اللجنة بإجراء تشخيص موضوعي وشامل للمنظومة التربوية قصد الخروج بمقترحات وافية حول مشروع سياسة تربوية جديدة مندرجة في إطار مسعى شامل متسق ومنسجم، وفي ختام الأشغال، التي استغرقت تسعة شهور، قدمت اللجنة تقريرها في شهر مارس 2001 للسيد رئيس الجمهورية فعرضه، بدوره، لنظر الحكومة. وكان التقرير العام للجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية محل دراسة معمقة من طرف السلطات: وقد كرس مجلس الحكومة خمسة اجتماعات لدراسة هذا الملف الشديد الأهمية استعرض خلالها النقاط الآتية:

✓ الجوانب المتعلقة بتشخيص المنظومة التربوية وبالتحديات التي ينبغي مواجهتها، وكذا محورين من محاور الإصلاح وهما: إرساء منظومة للتكوين ولتحسين مستوى التأطير، وتجديد الفعل البيداغوجي ومجال المواد الدراسية. أما القطب الثالث في مشروع الإصلاح فيتعلق بإعادة تنظيم شامل للمنظومة التربوية، بينما خصصت النقطة الأخيرة في الاجتماع لفحص الإجراءات الخاصة بالتعليم العالي والبحث العلمي وكذا دراسة الإطار العام لتنفيذ الإصلاح (اجتماع الحكومة في 06 فيفري 2002).

وتواصلت مناقشة مشروع الإصلاح في اجتماع آخر لمجلس الحكومة، انعقد في 06 مارس 2002، حيث قرر السيد رئيس الحكومة تشكيل فريق عمل مكلف بضبط خطة عمل لتنفيذ الإصلاح التربوي. وإثر تنصيبه أعد فريق العمل

مشروع خطة لتجسيد إصلاح المنظومة التربوية اعتمادا على الورش الخمسة عشر على ضوء الأولويات التي حددتها اللجنة الوطنية للإصلاح. ثم انعقد اجتماع أخير لمجلس الحكومة، بتاريخ 19 مارس 2002، خصص لفحص الخطة التي أعدها فريق العمل قبل عرضها على مجلس الوزراء. في يوم 30 أبريل 2002 عُرض ملف إصلاح المنظومة التربوية لنظر مجلس الوزراء تحت إشراف السيد رئيس الجمهورية. واتخذ مجلس الوزراء، بعد دراسة وافية للملف، عددا من القرارات قد تم إدراجها ضمن برنامج عمل الحكومة المصادق عليه من قبل المجلس الوطني الشعبي بتاريخ 27 جويلية 2002. وتتعلق تلك القرارات التي أقرها مجلس الوزراء، في اجتماعه يوم 30 افريل 2002، بثلاثة محاور كبرى يمكن إجمالها في النقاط الآتية: (16)

1. إصلاح البرامج التعليمية
2. إعداد جيل جديد من الكتب المدرسية.
3. استعمال الترميز الدولي في العلوم الدقيقة والتجريبية وإدخال المصطلحات العلمية بلغة مزدوجة ابتداء من مرحلة التعليم المتوسط.
4. إعادة تأهيل شعب الامتياز في الرياضيات الأساسية وتقنيات الرياضيات والفلسفة.
5. تعديل برامج التربية الإسلامية والتربية المدنية، ..
6. إعادة تأهيل تدريس التاريخ والفلسفة في جميع المستويات.
7. تعميم التربية الفنية في جميع المستويات.
8. إعادة تأهيل التربية البدنية وتكريس طابعها الإلزامي على جميع التلاميذ.
9. تعزيز تدريس اللغة العربية، ...
10. ترقية وتطوير تدريس الأمازيغية، ..
11. إدخال تدريس اللغة الفرنسية في السنة الثانية من التعليم الابتدائي...

12. إدخال تدريس اللغة الانجليزية في السنة الأولى من التعليم المتوسط.

13. إعداد وتنفيذ إستراتيجية لمحو الأمية في صفوف الكبار.

ويمكن القول أن هذه الإصلاحات كانت تهدف إلى إعادة الهيكلة التي تشمل أطوار التعليم الإجباري وبعد الإجباري، بحيث إن عملية إعادة التنظيم هذه تجزأ التعليم الإجباري إلى وحدتين: المدرسة الابتدائية والمدرسة المتوسطة، وتنقل مدة التعليم بالمدرسة الابتدائية من 6 سنوات إلى 5 سنوات، وتزيد مدة التعليم بالمتوسطة من 3 إلى 4 سنوات، كما تعمل إعادة هيكلة المنظومة التربوية على إعادة تنظيم أطوار التعليم بعد الإجباري في ثلاثة أجزاء: التعليم الثانوي العام والتكنولوجي، والتعليم التقني والمهني و أخيرا التكوين المهني، وهذه التجزئة تضيف تمييزا جليا بين تعليم ثانوي وتكنولوجي الذي يحضر للدخول إلى الجامعات، وتعليم تقني مهني يحضر للعمل بشكل أساسي. أما على مستوى مضمون البرامج فبدا واضحا تكريس مفهوم الانتماء الجزائري لحوض البحر الأبيض المتوسط، كما تم التأكيد على البعد الأمازيغي في الشخصية الجزائرية إلى جانب البعدين العربي الإسلامي بإقرار تدريس اللغة الأمازيغية في المدارس الابتدائية في ولايات منطقة القبائل كمرحلة أولى تنتظر التقييم تمهيدا لتحضير تعميمها على سائر مدارس القطر وهذا انسجاماً مع ترسيم الهوية واللغة الأمازيغية في الدستور الجزائري، والاعتراف باللغة الأمازيغية لغة وطنية. (17)

خامسا- الأسس المنهجية والتربوية في بناء المناهج التربوية في الجزائر:

أ- الاختيارات المنهجية: لقد تم اعتماد جملة من الاختيارات المنهجية في بناء المناهج نابعة أساسا من التطور الذي عرفته عملية بناء المناهج في بعض المدارس التربوية العالمية منها:

- تبني مقارنة الكفاءات في بناء المناهج.
- اعتبار التقييم بعدا من أبعاد الفعل التعليمي ومركبا من مركبات أي منهاج تعليمي.
- اعتماد الطرائق النشيطة والتفاعلية التي تتلاءم مع المقاربة.
- تحقيق التناسق الأفقي العمودي بين المناهج التعليمية.
- اعتماد تجريب المناهج قبل تعميمها كمسعى منهجي لا بد منه. (18)
- ب- المبادئ العامة لبناء المناهج: تبنى المناهج التعليمية في مختلف المواد هي:

- وجهة المنهاج واستجابته لحاجات المجتمع، فمن أغراض إصلاح المناهج هو إعداد المتعلم لمواجهة تحديات العصر والاستجابة لحاجات المجتمع في الألفية الجديدة والتكفل بأبعاد الديمقراطية والعصرنة والعولمة.

- الانسجام العمودي للمادة الواحدة والتنسيق الأفقي بين المواد، بحيث لا تعتبر كل مادة مستقلة عن المواد الأخرى.

- تنمية الكفاءات الأساسية المرتبطة بالمادة والكفاءات المستعرضة.

- التوفيق بين المحتوى وبين قدرات المتعلم الاستيعابية.

- تنمية قدرات المتعلم الفكرية والاجتماعية وفق متطلبات العصر.

ج- المبادئ التربوية التي اعتمدت في بناء المناهج:

- اعتبار المتعلم محور العملية التربوية.

- ترشيد استعمال الزمن البيداغوجي.

- المعالجة البيداغوجية الشاملة باعتماد كل الأساليب بما فيها التقييم والتكوين.

- إدراج أبعاد جديدة في المناهج مثل البعد البيئي والبعد الصحي وحقوق الإنسان...

- التكامل بين النشاطات الصفية واللاصفية.

- مراعاة تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة والتكفل بالتلاميذ الذين يبدون استعدادات خاصة.

- تجديد وتحديث المحتويات بما يناسب محيط المتعلم.

- الاهتمام بتنمية النشاطات الفكرية والتحكم في توظيف المعارف.

- إدراج المعلوماتية كوسيلة تعليمية تستغل في تدريس المواد حسب الإمكانيات.

- إدراج البعد التاريخي في تدريس العلوم في مختلف المراحل.

د- النظام الدائم لبناء المناهج:

إن إشكالية المناهج وأهميتها كمركب أساسي في النظام التربوي استدعت ضرورة إقامة جهاز دائم يهدف إلى تطوير المناهج وبشكل إطارا مفضلا لتحقيق سياسة التربية في مجال المناهج لذلك تم إنشاء اللجنة الوطنية للمناهج والمجموعات المتخصصة للمواد.

1- اللجنة الوطنية للمناهج: والتي أنشئت بموجب قرار مؤرخ في 11 نوفمبر 2002، في صيغتها المحددة، وهي هيئة تقنية للدراسة والتنسيق والتوجيه في مجال البرامج

والمناهج التعليمية - كما سبقت الإشارة إليه-، وتتكفل هذه اللجنة في إطار مهامها بتقديم الآراء والاقتراحات لوزير التربية الوطنية بخصوص كل قضية تتعلق بمناهج التعليم منها: (19)

- التطوير العام للتعليم.
- صياغة الأهداف العامة للتعليم انطلاقاً من الغايات التربوية.
- إعداد مرجعية عامة للمناهج.
- إعداد مذكرات منهجية وأدلة مرجعية تتعلق ببناء المناهج التعليمية لكل مادة أو مجموعة من المواد.

2- المجموعات المتخصصة للمواد:

أنشئت بموجب قرار مؤرخ في 13 نوفمبر 2002 في صيغتها المجددة. تتكفل هذه المجموعات بمهام منها تقديم مقترحات بخصوص: مرجعية خاصة بالمادة التعليمية أو النشاط أو الاختصاص. تعديل و / أو المناهج الجاري بها العمل. مشاريع الوثائق المنهجية المرافقة و ذات الدعم البيداغوجي. قامت المجموعات المتخصصة للمواد بعد تنصيبها بتشخيص وضعية المناهج الحالية، بالموازاة مع الإطلاع على التوثيق قصد التعمق في المقاربة الجديدة المعتمدة في بناء المناهج وهي مقاربة الكفاءات، ثم طلب منها إعداد مشاريع مناهج السنة الأولى ابتدائي ومناهج سنة أولى متوسط وقد صادقت اللجنة الوطنية للمناهج على هذه المشاريع التي ستطبق بداية من الموسم الدراسي القادم 2004/2003، وإن تبقى مرحلية وقابلة للتعديل.

ه- إنجاز المناهج الدراسية الجديدة

حيث تم إعداد البرامج الدراسية وفق المقاربة بالكفاءات وهي مقاربة جديدة متفرعة عن المنهج البنائي وتعتمد على منطق التعلم المتمركز حول التلميذ وأفعاله وردود أفعاله أمام وضعيات-إشكالية. هذه المقاربة يحمل التلميذ على المبادرة بالفعل بدل الركون إلى التلقي(البحث عن المعلومات، التنظيم والترتيب، تحليل الوضعيات، بناء الفرضيات، تقييم فعالية الحلول..). وذلك حسب وضعيات-إشكالية منتقاة باعتبار أنها تمثل وضعيات حقيقية قد يصادفها التلميذ في حياته اليومية(في المدرسة والمجتمع) بوتيرة متكررة إلى حد ما.

إن اختيار هذه المقاربة التي تضع التلميذ في صميم سيرورة التعليم/التعلم وتجعله شريكا في بناء معرفته؛ لا تخلو من تأثير مباشر على منهجية إعداد البرامج الدراسية وعلى نمط المقاربات التعليمية وأسلوب التقييم ووظيفته. وهذه المقاربة تفرض على واضعي البرامج التكفل بالمسائل المرتبطة بها وهي:

- توظيف شتى المعارف المستوعبة في حل الوضعيات المعقدة التي سوف يصادفها التلميذ في حياته المدرسية والاجتماعية والمهنية.

- التنسيق بين مختلف أنواع التعلمات بحثا عن أساليب مجدية تتيح تنظيم وترتيب تلك التعلمات واستخدامها عبر النسق الداخلي لمادة دراسية معينة والتكامل بينها وبين بقية المواد الدراسية.

- التكفل بحاجيات كل تلميذ ومراعاة تفرد قدراته وتميز مساره البيداغوجي.

- تفعيل الوظيفة التكوينية للتقييم والتي تتيح إمكانية تدارك الخلل وعلاجه بصورة فورية.

أما بخصوص الطرائق النظرية المتعلقة بهيكله البرامج الجديدة فينبغي التأكيد بأنها تتمفصل حول عدد من العناصر الأساسية بعضها ذات بعد إستراتيجي؛ وبعضها الآخر ذا صبغة منهجية محضة. (20)

الأسس ذات البعد الإستراتيجي

- مقارنة ذات توجه مستقبلي: ذلك أنه علاوة على الاهتمام بتحسين أداء المنظومة التربوية فإن الأمر يتعلق بانتهاج مسعى استشرافي من أجل تصور وإقامة مدرسة متجددة.

- مقارنة متكاملة تتيح تنظيما أحسن لجميع العناصر التي تنطوي عليها البرامج الدراسية؛

- مقارنة متدرجة باستمرار تضيء على البرامج الدراسية صفة ديناميكية ترنو دوما نحو المستقبل مع مقدرتها على دعم استقرار المعارف المؤقت والتدرج بخطى دعوية؛

- مقارنة علمية من شأنها جعل البرامج الدراسية تعكس بصدق ما تقرره مدونة الإجراءات و الأهداف المحددة بكل وضوح وتعتمد على بناء الفرضيات وتحديد الإجراءات الدقيقة الكفيلة بوضع تلك البرامج حيز التطبيق. (21)

سادسا- مستجدات المناهج:

أ. المقاربة بالكفاءات: إذا كانت المناهج الحالية بنيت على الأهداف التربوية كأساس لتوجيه عملية التعليم والتعلم، فإن المناهج الجديدة قد أعدت على أساس

- المقاربة بالكفاءات وهي في الواقع امتداد للمقاربة بالأهداف وتمحيص لإطارها المنهجي والعلمي. وتتميز مقارنة الكفاءات بما يلي:
- تجعل المتعلم في قلب الفعل التربوي ومحوره، وتعمل على إشراكه في مسؤولية قيادة وتنفيذ عملية التعلم، وهي تقوم على اختيار وضعيات تعليمية، مستفاد من الحياة في صيغة مشكلات ترمي عملية التعلم إلى حلها بتسخير المهارات والمعارف الضرورية لذلك.
 - تجعل من حل المشكلات الأسلوب المعتمد للتعلم الفعال، إذ أنه يمكن المتعلم من بناء معارفه بالمفهوم الواسع بإدماج المعطيات الجديدة في مكتسباته السابقة.
 - تعمل المناهج على تشجيع اندماج المفاهيم والأدوات المعرفية الجديدة بدل اعتماد الأسلوب التراكمي للمعارف.
 - تحدد المقاربة بالكفاءات أدوارا متكاملة جديدة لكل من المعلم والمتعلم.
- ب. **التقويم والمعالجة التربوية:** إن التقويم جزء من عملية التعليم والتعلم، فهو مدمج فيها وملزم لها وليس خارجا عنها، كما أنه كاشف للنقائص ومساعد على تشخيص الإختلالات والتذبذبات التي يمكن أن تحصل خلال عملية التعلم، وتساعد على استدراكها بصفة عادية ومنظمة.
- ج. **الوسائل التعليمية والوثائق المرافقة:** تعتبر الوسائل التعليمية بكل أنواعها أدوات ضرورية ومساعدة على تطبيق المناهج، بما تتضمنها من سندات تربوية يستعين بها المعلم في أدائه، وهي تشكل للمتعم مصدرا أساسيا لتعلماته. (22) فإصلاح المناهج التربوية يهدف إلى تحديد غايات التعليم حتى تكون أكثر ملائمة لحاجات الأفراد والمجتمع المرئية والمستقبلية المفترضة، وإلى تحقيق أهداف التعليم واستخدام أحسن الوسائل وأنجع الطرائق لتحقيق تلك الأهداف.

خاتمة

إن إصلاح المناهج التربوية في الجزائر وفق المقاربة بالكفاءات ينطوي على تغييرات جوهرية، على مستوى طرق التدريس وطرق التقييم..، والتي تستجيب بشكل كبير لمتطلبات التعليم الحديث. وتسمح بإنتاج تعليمي متكيف مع التطورات التي يشهدها العصر؛ أين يعيش العالم مرحلة الانفجار المعرفي والتكنولوجي المتسارع، مما يعني أن لها الكثير من الجوانب الإيجابية والمطلوبة، ولكن يبقى التطبيق على أرض الواقع هو المحدد الرئيس لمدى نجاعة هذه الإصلاحات في المناهج التربوية بالجزائر التي انتهجت المقاربة بالكفاءات أساسا لها.

الهوامش:

- (1) عبد العزيز عبد الله سنبل. التربية في الوطن العربي. المكتب الجامعي الحديث. الإسكندرية. مصر. 2002. ص. 202.
- (2) مصطفى محسن. الخطاب الإصلاحي التربوي: بين أسئلة الأزمة و تحديات التحول الحضاري. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. 1999، ص. 52.
- (3) http://www.ibtesama.com/vb/showthread-t_173820.html
- (4) عبد الله عبد العزيز سنبل-مرجع سابق- ص، 202.
- (5) حمدي علي أحمد. علم اجتماع التربية. دار المعرفة الجامعية. مصر. 1997. ص. 245.
- (6) حامد عمار. الإصلاح المجتمعي. إضاءات ثقافية واقتضاءات تربوية. مكتبة الدار العربية. للكتاب. القاهرة. 2006، ص. 23.
- (7) محمد الصالح حثروبي.: المدخل إلى التدريس بالكفاءات، دار هومة ،عين مليلة،الجزائر ، 2002. ص. 42.
- (8) عطا الله أحمد وآخرون: تدريس التربية البدنية والرياضية في ضوء الأهداف الإجرائية والمقاربة بالكفاءات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص. 59.
- (9) المركز الوطني للوثائق التربوية: 2000، ص ص 1-2.

- (10) محمد الصالح حثروبي - مرجع سابق - ص ص. 68-69.
- (11) النشرة الرسمية للتربية الوطنية، النصوص المتعلقة بإصلاح المنظومة التربوية: 2005، ص. 31.
- (12) الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التربية الوطنية، المقاربة بالكفاءات، المركز الوطني للوثائق التربوية، العدد 34، 2000، ص 10.
- (13) المرجع السابق، ص ص. 18-22.
- (14) باولو فريري. نظرات في تربية المعذبين في الأرض، ترجمة: مازن الحسيني، دار التنوير للنشر والترجمة والتوزيع، 2002. ص 79.
- (15) النشرة الرسمية للتربية الوطنية - مرجع سابق - ص. 28.
- (16) بو بكر بن بوزيد، إصلاح التربية في الجزائر رهانات وإنجازات. دار القصة للنشر 2009. ص ص. 27-28.
- (17) <http://www.almarefh.org/news.php>
- (18) النشرة الرسمية للتربية الوطنية - مرجع سابق - ص. 28.
- (19) المرجع السابق، ص. 29.
- (20) بو بكر بن بوزيد - مرجع سابق - ص ص. 53-55.
- (21) المرجع السابق. ص. 55.
- (22) النصوص المتعلقة بإصلاح المنظومة التربوية - مرجع سابق - ص. 31.